2010 0411 - 0004 - 2

13 نيسان، كيلا يحجب الرمز ما يرمز اليه!

13 نيسان يوما وطنيا للذاكرة، نعم.. فوسائل الاعلام كلها تتهيأ للاحتفاء بهذه الذكرى، ولاستدعاء كل من تظن أن لديه شيئا يقوله بهذا الشأن..

وأن يتحول هذا اليوم الى مناسبة، الى رمز للتذكر انجاز لذوي المفقودين، الذين كانوا اول من طالب به.. لكن، بالمقابل، لكم يخشى أن يتحول هذا اليوم الى رمز من دون مضمون.. الى رمز ننسى ما يرمز اليه، بل، ربما، وهذا الأسوأ الى حاجب لما يرمز اليه.. فكم من محكمة قتلت العدالة، وكم من طقس قتل الدين الذي انوجد لخدمته؟ وذوو المفقودين هم بالطبع أدرى الناس بهذا الأمر: فماذا فعلت اللجنة الرسمية لتقصي مصائرهم؟ عاينت عشرات المقابر الجماعية في أطراف لبنان كافة، ذكرت عددا نذيرا منها وتكتمت على العدد الأكبر، وأعرضت باية حال عن أي تدبير لحمايتها، عن اي تدبير للتعرف على الجثث المرمية فيها، انما قالت: عدد المقابر الجماعية المنتشرة في كل مكان تثبت أنهم ماتوا، فتعالوا نقيم نصبا لضحايا الحرب في ساحة الشهداء. قبرا لمجهول نحتفي به فيبقى المجهول مجهولا، نصبا لمفقود نحتفل به فيبقى المفقود مفقودا. وكأنها تقول لهم: هيا بكم، قايضوا حق المعرفة بنصب، قايضوا مطلب العدالة بحجر.

فأن نتفق ضمنا على اعلان 13 نيسان يوما وطنيا للذاكرة: ممتاز.. لكن، أي اتفاق هذا اذا حوله البعض (وعلى راسهم السلطة)، الى اداة، ليس لمراجعة الذات، لاستذكار المأساة، والاعتراف بالضحايا انما لاستذكار البطولات وتبجيل الذات؟ فأي اتفاق هذا، الاتفاق الذي يغفل عن تحديد موضوع التذكر، أو أهدافه؟ وألا يكون الاتفاق والحالة تلك مبنيا على خدعة، على تكاذب، على مجاملة محسوبة النتائج؟

من هذه الزاوية، جاز ان نقول: لنا 13 نيساننا ولهم 13 نيسانهم، لنا ذاكرتنا ولهم ذاكرتهم.

لنا ذاكرتنا، ذاكرة العدالة، ذاكرة الضحايا التي بنت هويتها بالدمع والحزن، فطغت هوية الانسان على اي هوية اخرى. ولهم ذاكرة الأبطال المبنية على العصبيات، ذاكرة تغربل أفعالهم، بل الفعل نفسه، فتنشد كلما نشدوا ودا شعبيا ما فيه من بطولة وتدين، في الوقت نفسه، وبالوتيرة نفسها، كل من يستذكر ما فيه من جريمة بحجة ان الماضي قد مضى. فكأنما الماضي يذكر بالنسبة اليهم بقدر ما يخدم هالاتهم وينسى في كل ما عدا ذلك، أي في كل ما من شأنه أن يمهد لانصاف الضحية.

أيها الزعيم، أيها البطل، هذا اليوم ليس لك، وليس للأنصبة التي تباركها وتضيئ هامتك بقدر ما تجهل الضحايا الذين تتذرع بهم لاعتلاء المنبر، انما لكلمة عدالة، لكلمة انصاف، لجبر الضرر، لقضاء نتمناه عادلا يكرس حق المعرفة.. للذي لديه اعتراف، اقرار، معلومة، أي شيء يفيد الضحايا فليقله بخفر، والا رجاء: فليبحث عن يوم آخر لنشر هالاته!

نزار صاغية